

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 16]

❖ مَنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا كَذَّبَ الْقَوْمُ الْمُرْسَلِينَ صِرَاحَةً؛ مُحْتَجِّينَ لِتَكْذِيبِهِمْ بِالْجَمْلَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ: أَجَابَ هَؤُلَاءِ الرُّسُلُ الثَّلَاثَةُ بِجَوَابٍ مُّوَكَّدٍ تَأْكِيدًا بَلِيغًا، لَتَكَرَّرِ الْإِنْكَارِ مِنَ الْقَوْمِ الْمَكْذِبِينَ، فَقَالُوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾.

الإحالة على علم
الله تعالى راحةً
للمؤمنين

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

قَالَتْ رُسُلُهُمْ لَهُمْ: اللَّهُ رَبُّنَا يَعْلَمُ أَنَّا رُسُلُهُ إِلَيْكُمْ، وَأَنَّا صَادِقُونَ، وَلَوْ كُنَّا كَذِبَةً عَلَيْهِ لَانْتَقَمَ مِنَّا أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ، وَلَكِنَّهُ سَيُعْزِزُنَا وَيَنْصُرُنَا عَلَيْكُمْ، وَسَتَعْلَمُونَ لَمَنْ تَكُونُ عُقْبَى الدَّارِ⁽¹⁾.

الأمانة في
أداء الرِّسالة،
واليقين بنصر
الله تعالى

❖ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلغة الفصل:

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْقَوْمِ الْمَكْذِبِينَ أَنَّهِمْ: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾: كَأَنَّ سَائِلًا سَأَلَ، فَقَالَ: مَاذَا قَالَ الْمُرْسَلُونَ حِينَ بَالِغِ الْقَوْمِ فِي تَكْذِيبِهِمْ؟، فَقِيلَ: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، فَلِهَذَا فَصَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِنَافِ الْبَيَانِيِّ.

من أساليب
الحوارة
التشويق

دلالة الإطناب في المقابلة:

لَمَّا كَذَّبَ الْقَوْمُ الْمُرْسَلِينَ، وَبَالَغُوا فِي تَكْذِيبِهِمْ: رَدَّ عَلَيْهِمُ الْمُرْسَلُونَ بِتَقْرِيرِ رِسَالَتِهِمْ وَصَدَّقَهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهِمْ بِمَجَرَّدِ التَّكْذِيبِ لَمْ يَسْأَمُوا التَّبْلِغَ، وَلَمْ يَتْرَكُوا قَوْلَ الْحَقِّ؛ وَإِنْ كَرَّرَ

لا يسأم
المرسلون من
التبليغ وإن بالغ
الكافرون في
التكذيب

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 415، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 569، والسعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص: 694، قال الزمخشري: "قوله: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم في التوكيد"، راجع: الزمخشري، الكشاف: 4/ 9.

القومُ تكذيبهم، وأنكروا عليهم، بل أعادوا ذلك لهم، وكرّروا القولَ عليهم، وأكّدوه⁽¹⁾.

دلالة الإسناد في: ﴿قَالُوا﴾:

الاجتماع عند
شدة المواجهة

الضميرُ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ عائِدٌ على المرسلين ثلاثتهم، أي: قال المرسلون جميعهم، فالإسناد حقيقي، وفيه إيدانٌ باجتماعهم عند هذا القول، لتقرير رسالتهم، وبيان صدقها، وفيه دلالة على اشتداد التّحدّي والمواجهة بينهم وبين القوم، والأبلغ في بيان وحدتهم وقوتهم الحملُ على الإسناد المجازي: بأن يكون القائلُ واحدًا منهم، مع رضا الآخرين؛ لأنّ الرُّسل صاروا جماعة ذات كلمة واحدة، فلا يستطيع أحدٌ غلبتهم ولا التّجرأ عليهم، فإذا قال واحدٌ منهم شيئاً كان كأنّ القائلَ جميعهم.

نكتة التعبير بعنوان الرّبوبيّة:

الرّبوبيّة تحريكٌ
للنّفوس نحو
الإيمان بالمُحسين
إليها

أسند المرسلون العلمَ برسالتهم إلى عنوان الرّبوبيّة في قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾؛ للإشعار بأنّ إرسالهم نعمةٌ من الله تعالى عليهم، وعلى أصحاب القرية، وأنّه تعالى قد أحسن بهم؛ إذ أرسلهم إليهم، فيكون فيه رمزٌ إلى حكمة الإرسال، وهو أيضًا أوفقٌ بالحال التي هم فيها؛ من إظهار المعجز على أيديهم، فكأنّهم قالوا: ناصرنا بالمعجزات يعلم إنّنا إليكم لمرسلون⁽²⁾، وفيه أيضًا: أنّه لو لم يكن لنا وازعٌ عن الكذب عليه إلّا إحسانه إلينا لكان كافياً⁽³⁾.

دلالة الضمير في: ﴿رَبَّنَا﴾:

الرُّسل يُقابِلون
عظيم الإنكار
والتّكذيب بتوّدّدٍ
وتلطفٍ

في إضافة الرُّسلِ الرّبِّ إلى ضمير الجماعة المُتخاصِمة: الرُّسلِ والقوم الكافرين معاً، ترغيبٌ في الإيمان مؤسَّسٌ على التّعبير بلفظ الإحسان والإنعام، وهو الرّبُّ؛ والمعنى: أنّ الله المحسن إلينا وإليكم

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26 / 261.

(2) الألوسي، روح اللّعاني: 11 / 394.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 106.

يَعْلَمُ صِدْقَنَا، أَفَلَا تَوْمَنُونَ بِنَا، وَتَصَدَّقُونَنَا؟! وترهيبٌ، لأنَّ الله هو الذي سيفصل بيننا، فهو الخبيرُ المحيطُ بنا جميعاً، المهيمُ علينا.

دلالة تركيب: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾ أسلوبٌ خبريٌّ، يُقصد به الإخبارُ عن علم الله تعالى برسالتهم، والاستشهادُ بعلم الله تأكيدٌ وتحقيقٌ لما جاءوا به في نفوسهم، وطمأننةٌ وتطبيبٌ لها بالقناعة بعلمه تعالى⁽¹⁾، وهذا التركيبُ - مع كونه خبراً - جارٍ مجرى القسم في التوكيد؛ كقولهم: شَهِدَ اللهُ، وَعَلِمَ اللهُ؛ لِأَنَّهُ اسْتِشْهَادٌ بِاللَّهِ عَلَى صِدْقِ مَقَالَتِهِمْ، فهو بمثابة القسم الذي هو من الإنشاء غيرِ الطلبي⁽²⁾.

سرّ الجواب بإسناد العلم إلى الربّ تعالى:

في إسناد العلم إلى ضمير الربّ تعالى في قوله: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾: إشعارُ القوم الكافرين بجهلهم حين قالوا: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾، فالعالمُ بحقيقة الرسول، ومَن يكون، وعلى أيِّ صفة يكون إنما هو الله، وأنَّ الله هو الأعلمُ حيث يجعلُ رسالته، والرُّسلُ عالمون بذلك بعلم الله⁽³⁾.

فائدة تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي:

في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾ تقدّم المسندُ إليه المعرّى من العوامل اللفظيّة: ﴿رَبَّنَا﴾ على خبره الفعليّ المثبت: ﴿يَعْلَمُ﴾؛ فأفاد تقوية الحكم الناتج عن الإسناد، وتحقيقه في نفوس المتلقين؛ لأنَّ المتلقّي إذا تلقّى قوله: ﴿رَبَّنَا﴾: أُشْعِرَ قلبه بأنَّ القرآن أراد الحديث عنه، فإذا تلقّى قوله: ﴿يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾: كان قد تلقّاه، وقد وُطِّأَ له، وقُدِّمَ الإعلامُ فيه، فدخَلَ على قلبه دخول المأنوس به، وقبِلَه

الجمع بين
المعنى الخبري
والإنشائي من
براعة أسلوب
القرآن

إذا أحسن
بالإرسال أحسن
بالرُّسل

من شأن الرُّسل
كشَفَ حقيقة
زيّف الكافرين

(1) أبو حفص النسفي، التفسير في التفسير: 347/12.

(2) الرمخشري، الكشف: 9/4، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 265/4.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 261/26.

قَبُولَ الْمُهِيَّا لَهُ، الْمُطْمَئِنُّ إِلَيْهِ؛ وَذَلِكَ لَا مُحَالَةَ أَشَدُّ لثُبُوتِ الْحُكْمِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْمُسْنَدِ وَتَوَابِعِهِ: ﴿يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، وَأَنْفَى لِلشُّبْهَةِ عَنْهُ، وَأَمْنَعُ لِلشَّكِّ فِيهِ، وَأَدْخَلَ فِي التَّحْقِيقِ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ إِعْلَامُكَ الشَّيْءَ بَعْتَهُ غُفْلًا مِثْلَ إِعْلَامِكَ لَهُ بَعْدَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ، وَالتَّوَقُّفِ لَهُ.

وَفِي التَّقْدِيمِ أَيْضًا: النَّصُّ عَلَى أَنَّ فَاعِلَ الْفِعْلِ الْمَذْكُورِ هُوَ الرَّبُّ ﷻ، وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ، وَالْمَعْنَى: رَبُّنَا يَعْلَمُ، لَا أَنْتُمْ؛ لِانْتِفَاءِ النَّظَرِ فِي الْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ الظَّاهِرَةِ عَنْكُمْ⁽¹⁾، وَالْقَصْرُ الْمَفَادُ بِالتَّقْدِيمِ إِضَافِيٌّ قَلْبِيٌّ؛ لِأَنَّهُ يَعْكُسُ مَا يُفْهَمُهُ رُءُ الْقَوْمِ عَلَى الرُّسْلِ مِنْ أَنَّهُمْ الْعَالَمُونَ بِقَضِيَّةِ الرُّسَالَةِ وَالْإِرْسَالِ وَالرُّسْلِ، وَهُوَ قَصْرُ صِفَةٍ ذَاتٍ مُتَعَلِّقٍ: ﴿يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ عَلَى مُوصُوفٍ مُضَافٍ: ﴿رَبُّنَا﴾⁽²⁾.

سببُ تَتَابُعِ التَّوَكُّيدِ فِي الْآيَةِ، عَلَى عَكْسِ مَا قَبْلَهَا:

وَرَدَ قَوْلُهُ تَعَالَى سَابِقًا: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ مُؤَكِّدًا بَيِّنًا؛ مَعَ اسْمِيَّةِ الْجُمْلَةِ، لِأَنَّهُ سَبَقَ بِتَكْذِيبِ الرَّسُولَيْنِ الْاِثْنَيْنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾، فَمُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الرَّسُولَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ أَخْبَرَاهُمَا - عَلَى وَجْهِ خَالَ مِنْ التَّوَكُّيدِ - بِأَنَّهُمَا رَسُولَانِ، فَلَمَّا كَذَّبُوهُمَا عَزَّزَهُمَا اللَّهُ بِرَسُولٍ ثَالِثٍ وَأَعَادُوا إِثْبَاتَ رِسَالَةِ أَنْفُسِهِمْ مَعَ شَيْءٍ مِنَ التَّوَكُّيدِ كَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ، فَلَمَّا عَلَتْ نَبْرَةُ التَّكْذِيبِ، وَأَنْكَرَ الْقَوْمُ أَنَّ يَكُونَ الرَّحْمَنُ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، وَاتَّهَمُوهُمْ بِالْكَذْبِ، وَبَالَغُوا فِيهِ عَلَى وَجْهِ عَالٍ وَ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾: كَانَ جَوَابُ الرُّسْلِ: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، فَأكَّدُوا رَدَّهُمْ بِمُؤَكَّدَاتٍ ظَاهِرَةٍ مُشْهُورَةٍ فِي اسْتِعْمَالِهَا لِلتَّوَكُّيدِ، وَهِيَ: إِنَّ، وَاللَّامُ، وَاسْمِيَّةُ الْجُمْلَةِ؛ وَمُؤَكَّدَاتٍ لَطِيفَةٍ، وَهِيَ

مقابله علي
الإنكار بعلي
التوكيد إحسان
إلى القوم

(1) الألويسي، روح المعاني: 11 / 394.

(2) الألويسي، روح المعاني: 11 / 394.

قوله: ﴿رَبَّنَا يَعْلَمُ﴾ لأنه يجري مجرى القسم الذي هو من عناصر التوكيد الظاهرة، وتقديم المسند إليه المعرى من العوامل في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ على خبره الفعلي المثبت ﴿يَعْلَمُ﴾، فكان التوكيد في الآية علياً؛ ليطابق علو إنكارهم وتكذيبهم، ومؤذناً بأن القوم بلغوا أقصى ما يمكن من التكذيب والإنكار⁽¹⁾.

فائدة تقديم ﴿إِلَيْكُمْ﴾ على ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾:

قدم الجار والمجرور على الخبر في قوله: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ للاهتمام بالمقدم؛ بمعنى: (إنّا مرسلون إليكم، ولم نأتكم غلطاً)⁽²⁾؛ لأنّ مضمون الآية السابقة يوحى بالحكم بغفلتهم إلى حدّ الوقوع في الكذب الذي صرح القوم بالحكم به عليهم، كما يفيد التقديم معنى التخصيص، أي: (إنّا إليكم - وليس إلى غيركم - مرسلون)؛ ووراء هذا من المعنى: بيان أنّ الرُّسل لن يسكتوا عن دعوتهم إلى الإيمان والحقّ ما داموا لم يؤمروا من قبل الله بهجرهم، ولعلّ وراءه أيضاً إشعاراً باستعطافهم لعلهم يؤمنون.

بلاغة مجيء الفاصلة على خلاف مقتضى الظاهر:

لما ردّ القوم على المرسلين بإثبات بشريّتهم، وإنكار أن يكون الرحمن قد أنزل شيئاً لإثبات دعوى رسالتهم، وأتهموهم بالكذب في قولهم: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ كان الظاهر أن يقال: (قالوا ربنا يعلم إنّا لصادقون)، لكنّه عدل عن جوابهم على مقتضى الظاهر إلى قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ليكون التعبير بالإرسال مضمناً ثمانية معانٍ:

أحدها: تقرير بشريّتهم، إذ لم يُنفوها، والثاني: بيان أنّ لا تنافي بين

الرُّسُلُ يَقِفُونَ
على أرض صلبة
في دعوتهم إلى
الله

تكرار في الظاهر،
إيجاز عامر
بالفوائد عند
التدبر

(1) الرمخشري، الكشف: 9/4، والبياضي، أنوار التنزيل: 265/4، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص:

(2) البقاعي، نظم الدرر: 106/16.

البشرية والرسالة، إذ لم ينفوا بشريتهم، بل أثبتوا رسالتهم، والثالث: الرد على قولهم: ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ فإن إثبات الرسالة إثبات لإنزال الرحمن شيئاً؛ وهذا يُثبت دعوى الرسالة، والرابع: تقرير رسالتهم، وتحقيقها، والخامس: الرد على تكذيبهم في قولهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ بتضمين المعنى: أنهم صادقون؛ فإن المعنى: ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه، وإننا لصادقون؛ للإيدان بأن الرسول لا يكون إلا صادقاً⁽¹⁾، والسادس: بيان الدليل، فإن الرسالة مقترنة بالدليل والحجة والبرهان؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، أي: إننا لصادقون في رسالتنا، بما اقترن بالرسالة من الحجة والبيّنة، والسابع: الاستدلال على صدق ما ظهر على أيديهم من الآيات بعلم الله بأنهم لمرسلون، والثامن: الإيماء إلى الجواب عما قد يُقال: كيف يكون علم الله تعالى بأنهم رسل الله حجة عليهم؟ فالجواب عنه: أن معناه: ربنا يعلم إننا إليكم لمرسلون، بما أظهر على أيدينا من الآيات والمعجزات، فصارت الحجة قائمة بالآيات والمعجزات، لا بنفس العلم⁽²⁾.

بلاغة التعريض:

ردّ العلم إلى
الله تعالى فيه
تحذير شديد
ووعيد عظيم

في قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾: تعريض بالمكذّبين، بالتهديد والوعيد؛ فإن مراجعة الرسل على طريق الاحتجاج، بردّ العلم إلى الله تعالى، ورضاهم بعلمه سبحانه بأنهم لمرسلون؛ يلزم منه الحذر من المخالفة، ومن معارضة علم الله تعالى؛ مع ما اقتضى ما أتوا به من المعجزة لتصديق الدعوة؛ ففيه تحذير شديد، ووعيد على التكذيب؛ لأن المرسلين ردّوا أمر العلم بكونهم مرسلين إلى الله تعالى⁽³⁾.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 502/20.

(2) السمعاني، تفسير السمعاني: 371/4.

(3) ابن فورك، تفسير ابن فورك: 2/184، وابن عطية، للحرر الوجيز: 4/449، وأبو السعود، إرشاد

العقل السليم: 7/162.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 47، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-731-00-9

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 47: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-731-00-9

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»